المحاضرة السادسة : الهجرة الى يثرب (المدينة المنورة) :

ترتكز هذه المحاضرة على طرح تساؤلات عدة حول موضوع الهجرة الى يثرب التي تعد حدثاً من اهم الاحداث المفصلية في تاريخ الأمة الاسلامية ومنها :

- هل كانت الهجرة خياراً اقتضته الضرورة بسبب مواقف المشركين العدائية المتنامية ازاء الدعوة ومعتنقيها ؟ وهل كان لمواقف المشركين المعادية الاثر في تعجيل حدوثها و البحث عن موطن اخر للمسلمين غير مكة ؟
- ام انها جاءت في سياق تطور بلغته الدعوة الاسلامية ضمن تخطيط مسبق من قبل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ؟
- ماهي مقومات الدولة والعناصر التي اختارها النبي محمد (صلى الله عليه واله) لإقامة دولته؟
- ماالاسباب التي جعلت النبي (ص واله) يفكر في الهجرة الى يثرب؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لابد من مقدمة للاجابة :

من بعد الانتصارات التي حققها الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) ومن معهُ من اصحابه جعلتهُ يفكر بالتأسيس لنشر الاسلام بصورة اوسع ، لذا بدأ يبحث عن **موطن آمن للمسلمين يقيم فيه دولة الاسلام** خاصه بعد وفاة زوجته السيدة خديجة (عليها االسلام) وعمه ابو طالب (ع) فالنبي (صلى الله عليه واله) لم يستطع من تحويل سكان مكه من الشرك الى الديانه الاسلامية ، حيث إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة ، فقد حصل النبي « صلى الله عليه وآله » منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه ، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد ، في المستقبل القريب على الأقل .

فبعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين ، ومن المستضعفين ، ولم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل الله ، ويضع الحواجز والعراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين ، ويمنع من انتشاره واتساعه ؛ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له ، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية ، ومساعدة على حربها ، والقضاء عليها ، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله ، وإطفاء نوره ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ، نعم ، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر ، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة ، في القول والعمل ، بهدوء بال ، واطمئنان خاطر

، بعيداً عن ضـــغوط المشـــركين ، وفي منأى عن مناطق ســـيطرتهم ونفوذهم ، وكان النجاح و التوفيق الالهي الذي تحقق على ارض الحبشـة عاملاً رئيسـياً لجعل النبي محمد (صـلى الله عليه واله وسـلم) يبحث عن موضع جديد يكون مقصدا للمسلمين في هجرتهم الجديدة وبدأ يهيئ الامر لذلك.

- **س/ هل كانت الهجرة خياراً اقتضـته الضـرورة بسـبب مواقف المشـركين العدائية المتنامية ازاء الدعوة ومعتنقيها ؟**

إن عملية تسليط الضوء على جانب واحد من الحقيقة وهو الاضطهاد و العنف الذي مارسه المشركون بحق المسـلمين في مكة و اثره باتخاذ النبي محمد (صـلى الله عليه واله وسـلم) قرار الهجرة ما هو الا اجحاف طال المسلمين وقلل من شأنهم بشكل او بآخر فبعد كل ما قدموه من صبر و تضحيات في سبيل اعلاء كلمة الله نصـف خروجهم من مكة الى الحبشـة او يثرب بأنه **محاولة للحفاظ على ارواحهم وتجنبهم الوقوع في الفتنة والارتداد عن دينهم** ، فلو كان المسلمين ينشدون حياة الراحة و الامان لأختار لهم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسـلم) الحبشـة مكانا يهاجرون اليه خصـوصـا بعد ما تحقق من اسـتقرار و نجاح في توطيد العلاقة مع النجاشـي بل العكس من ذلك نجد ان اختيار النبي (صـلى الله عليه واله وسـلم) يقع على اكثر بقاع الجزيرة العربية تدهورا في الاوضاع الامنية و الاقتصادية بسبب ما كان يجوب هذه المدينة من صراعات و تنافس على السلطة بين مكونات مجتمعها ، نحن لا ننفي معاناة المسلمين اثر معاملة المشركين السيئة لهم ولكن لا يمكن ان نعزو سبب الهجرة لتلك المعاملة فقط فهذه أسباب ظاهرية وهناك اسباب واقعية وحقيقية.

س/ أسباب إختيار يثرب (المدينة) مكاناً للهجرة :

وأما عن سر اختيار النبي « صلى الله عليه وآله » – الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى – لمدينة يثرب بالذات داراً لهجرته ، ومنطلقاً لدعوته ، دون غيرها ؛ فذلك يرجع إلى عدة عوامل ، نذكر منها ما يلي :

١– إن مكة كانت تتمتع بمكانة خاصة في نفوس الناس ، وبدون السيطرة عليها ، والقضاء على نفوذها الوثني ، واستبداله بالنفوذ الإسلامي ؛ فإن الدعوة تعتبر فاشلة ، وكل الجهود تبقى بدون جدوى ؛ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة ، بنفس القدر الذي كانت مكة بحاجة فيه إلى الدعوة ، فلا بد من اختيار مكان قريب منها ، يمكن أن يمارس منه عليها رقابة ، ونوعاً من الضغط السياسي والاقتصادي ، وحتى العسكري إن لزم الأمر في الوقت المناسب ، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها ، والمدينة (يثرب) ، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط ، فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصادياً ؛ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية ، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى ، كما أن ذلك يهيئ للنبي « صلى الله عليه وآله » الفرصة لعرض دعوته على القوافل التي تتجه من بلاد الشام والأردن وفلسطين وغيرها إلى مكة ، والتمهيد لإفشال كثير من الدعايات التي يمكن للمكيين أن يطلقوها ضد الإسلام وأهله .

٢– أن الهجرة إلى المدينة (يثرب) هي الحل المفروض ، الذي لا خيار معه ؛ وذلك لأن الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتي تجدي نفعاً ، بعد رفض اهلها الاستجابة إلى النبي « صلى الله عليه وآله » حينما هاجر إليهم ، لأنهم يرون : أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصادياً ، وأما اليمن ، وفارس ، والروم ، وبلاد الشام وغيرها ؛ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين ، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والأخطار الجسيمة ، وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة ، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعي ، والسياسي ، والبشري ، والعنصري ، وبحكم كونها بلداً أفريقياً ، فإنها ليست بلداً قادراً على أن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة ، لا اقتصادياً ، ولا سياسياً ، ولا عسكرياً ، ولا حتى فكرياً ، واجتماعياً ، أضف إلى ذلك : أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده ، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقة من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء ، والمستضعفون ،

ويواجه هؤلاء الملأ والمستكبرين من قومهم بالذات ، وهكذا يتضح : أنه ليس ثمة إلا المدينة ، والمدينة فقط ، موقعاً مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها .

٣- ومن الجهة الأخرى ، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعياً ، أي أنها لو فرض عليها أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما – مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئاً من ذلك – فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط ، وتحتفظ لنفسها بنوع من الحياة ، ولو بصعوبة ما ، من دون أن تستسلم لإرادة الآخرين ، وتنساق وراء رغباتهم ، كما كان الحال بالنسبة لغيرها ، هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع ، وجهد شامل ، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي – هذه الدعوة – تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي ، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم ، وبث رسالتهم .

٤- وإذا كان الحج من أهم تشريعات الإسلام ؛ فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ؛ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية ، والاجتماعية ، وفي غير ذلك من مجالات ، وأيضاً ، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين ، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية ، وقدسية من نوع ما في نفوسهم ، فلا بد إذاً من إخراجها من أيديهم ؛ لينتهي ما لهم من رصيد معنوي في نفوس الناس ، ولتنفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد ، وليتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره – الحج – بحرية تامة ، دونما رادع أو زاجر .

٥- وبعد هذا ، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة ، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة ، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه ، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة .

٦- فمن الناحية الجغرافية تبعد المدينة عن مكّة أكثر من أربعمائة كيلو متر، ممّا يجعلها بمأمن من هجمات قريش المفاجئة والمباغتة من جهة، ومن جهة أخرى هي قريبة من طريق تجارة مكّة الشام بحيث تمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من فرض سيطرته وممارسة نوع من الضغط السياسيّ والاقتصاديّ وحتّى العسكريّ على قريش في الوقت المناسب.

٧- إن أهل المدينة كانوا في الأصل من مهاجري اليمن ، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان ، فهم ليسوا أعراباً ؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة ، ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة ، كما كان الحال بالنسبة لقريش ، ولا كانوا يعيشون في تلك الأجواء النفسية

المعينة ، كما كانت تعيش قريش ؛ نتيجة لموقعها النسبي في العدنانية ، ولموقعها في زعامة مكة ، وحجابة البيت ، ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانية والقحطانية ، حيث لا يسع القحطانيين ، حتى ولو لم تكن ثمة دوافع دينية وعقيدية : أن يسلِّموا النبي « صلى الله عليه وآله » إلى أعدائه .

٨- ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون ، وقد أنهكتهم الحروب وأكلتهم ، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر ، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار ، حيث ان النبي محمد (صلى الله عليه واله) كان يبحث عن أرض فوجد النبي ضالته في يثرب، لان يثرب كانت ميدان للصراع بين الاوس والخزرج واليهود الذين كانوا يسعون لاقامة دولة في يثرب ، حيث ان النبي وضع في حساباته ان هذه الارض مناسبة لاقامة دولة ، لانه لا يوجد فيها سلطة حاكم او نظام حاكم .

٩- لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين ، ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة ، إلى ظروف مشجعة ؛ فلماذا يهملهم الرسول « صلى الله عليه وآله » ، ولا يهيئ لهم الفرصة لذلك ؟ ! .

١٠- هذا كله ، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم « صلى الله عليه وآله » وبايعوه بيعة العقبة ، ووعدوه النصر ، والنبي « صلى الله عليه وآله » إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها .

١١- ان التطور الذي شهدته الدعوة الاسلامية من خلال اختلاف اسلوب الخطاب القرآني وتنوع مواضيعه التي لم يذكرها الله سبحانه وتعالى إلا بعد الهجرة الى يثرب يؤكد بأن قرار الهجرة كان ضرورة ملحة اقتضتها الحاجة الى مكان يمثل بيئة مناسبة لتطبيق تعاليم السماء الخاصة بتنظيم المجتمع و العلاقات الدولية و الجهاد و غيرها ، بينما كانت الآيات المكية تحث في مضامينها على تصحيح العقيدة، ونبذ الشرك، والإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث، ودعت هذه الآيات إلى الالتزام بالأخلاق والاستقامة ومحبة الغير، ورفض كل أنواع الفسوق والمعصية والإضرار بالغير والاعتداء على حقوق الآخرين، ومن الطبيعي أن يقترن ذلك بالتنديد بالعادات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي من وأد البنات وعبادة الأصنام وظلم القوي للضعيف، وشرب الخمر وإتيان الفواحش، وأكل مال اليتيم واضطهاد الرجل للمرأة و الاطلاع على تجارب الامم السالفة و الافادة منها وهذا ما اطلقنا عليه مصطلح الهجرة المعنوية و المتضمنة الفرار الى الله سبحانه وتعالى ، والتي عمل النبي

(صلى الله عليه واله وسلم) خلالها على تهيئة نفوس المسلمين لخوض المرحلة الجديدة وهي مرحلة بناء المجتمع الاسلامي و التأسيس للدولة .

١٢- لم تكن المرحلة المكية مهيأة لوضع أسس نظام إسلامي، لغياب مكونات ذلك المجتمع، وكان لابد من توسيع دائرة الدعوة، لكي ينصب الاهتمام أولا على إصلاح العقيدة، عن طريق المقارنة بين الإيمان والكفر، واستخدام العقل البشري كأداة للتمييز والترجيح، والعقل البشري قادر على أن يكتشف الحقيقة، ولهذا استعمل القرآن الكلمات المعبرة عن ثقة الدعوة الإسلامية بالعقل والعقلاء وهذا ما يمكن ان نلمسه من خلال مطالعتنا لمضامين السور المكية ، بينما نجد الآيات المدنية تتميز بخصائص تجسد واقع المجتمع الإسلامي الذي يواجه تحديات خارجية تستهدف كيانه ووجوده، وتحديات داخلية تستهدف تنظيم شئونه على قواعد ثابتة تحقق الانسجام بين مبادئ الإسلام وواقع المجتمع الإسلامي.

س / ماهي مقومات الدولة والعناصر التي اختارها النبي محمد (صلى الله عليه واله) لإقامة دولته؟

أي دولة تحتاج الى ثلاث عناصر لإقامتها:

١- الارض.

٢- الشعب .

٣- السلطة .

وهنا يتبادر السؤال هل هذه المقومات تنطبق على ارض يثرب دون غيرها ؟

بعد ان وقع اختيار النبي محمد (صلى الله عليه واله) على يثرب بدأ يبحث عن اساليب نجاح اقامة الدولة، فبدأ بالتواصل مع كبار ورجال من الاوس والخزرج اثناء موسم الحج حيث كانت القبائل تأتي الى مكة، حيث تذكر المصادر انه لم يكن يعرض عليهم الاسلام فقط بل انه كان يعرض عليهم مشروع اخراجهم من واقعهم الذي يعانون منه وهو واقع الحروب وما ينتج عن الحروب من دمار اقتصادي واجتماعي وسياسي الى واقع جديد الذي كانوا يسعون له، وانهم كانوا على استعداد على تقبل حكومه يهوديه لذلك اغتنم النبي (صلى الله عليه واله) الفرصه واخذ يعرض عليهم مشروع تأسيس دولة يكونون هم مشاركين فيها ، فعرض هذا الامر على رجال الاوس والخزرج وطلبوا من النبي (صلى الله عليه واله) ان يمنحهم عاماً كاملاً لكي يقنعوا بقيه

قبيلتي الاوس والخزرج وبعد سنه كاملة عادوا وتمكنوا من اقناعهم وهو اقامة دولة ، فاصبحت السنه الاولى تعرف : بالعقبة الاولى ، والسنة الثانيه : بالعقبة الثانية ، وقد تم تعيين اثنا عشر نقيباً من قبل النبي (صلى الله عليه واله) لكي يتواصلوا مع افراد قبائلهم ، فاعتنقوا الاسلام و بايعوا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في السنة الثانية عشر للبعثة على ان لا يشركوا بعبادة الله ، و لا يسرقوا و لا يزنوا و لا يقتلوا اولادهم و لا يأتوا ببهتان وان يطيعوا الرسول لما فيه خيرهم فأن وفوا بهذه البيعة فأن الجنة لهم ولزيادة اطلاع اهل يثرب بتفاصيل الدين الجديد ارسل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) معهم الصحابي مصعب بن عمير .

فبدأ النبي محمد يؤسس للدولة وهو خارج المدينه المنورة(يثرب) ، وبالفعل فقد نجح الرسول (صلى الله عليه واله) في اختيار المكان المناسب والارض المناسبة واستطاع التأليف بين مكونات مجتمع يثرب ومن ثم ارسل اليهم المهاجرين من المسلمين سراً وبدأوا بالاستقرار ، فأصبح هناك شعب وارض بقيت السلطة او الحاكم المتمثلة بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، واصبح لدينا مقومات الدولة موجودة ارض وشعب بوصول النبي (صلى الله عليه واله) تكتمل الدولة .

س / ماهي ردة فعل المشركين ؟ وهل كانت هجرة النبي (ص واله) تخطيط الهي ام تدبير بشري ؟

فبعد أن اعلم مشركي ويهود يثرب مشركي قريش بالتطورات الحاصلة من جانب المسلمين وبالخطر الذي يواجهونه لان يثرب تقع على خط التجارة بين اليمن والشام فبالتالي لو نجح المسلمون في تأسيس دولتهم الجديدة سوف يتأثر خط التجارة هذا ، وبهذا سوف تنتهي مكانة مكة بالنسبة للعرب والمشركين ، فكانت ردة فعل المشركين من كبار قريش ازاء هذه التطورات ان اجتمعوا في دار الندوة ، ولم يتخلف منهم أحد ، واستقر رأيهم على ان يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً قوياً ، حسيباً في قومه ، نسيباً ، وسطاً ، ويعطى كل منهم سيفاً صارماً ، ويدخلوا على النبي « صلى الله عليه وآله » بأسيافهم ؛ فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ويتفرق دمه في القبائل ، لأن بني عبد مناف لا يقدرون على حرب قومهم جميعاً ، فيضطرون إلى القبول بالدية ، فيعطونهم إياها ، وينتهي الأمر ، فقد أخبر الله تعالى نبيه بهذه المؤامرة عن طريق الوحي ، ونزل قوله تعالى : * **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ)** ، **يتضح** من ذلك ان النبي محمد (ص واله) قراره في الهجرة كان سريعاً لانه لم يعد له مسبقاً لان الوحي نزل عليه في نفس الليلة يأمره بالهجرة ، فأمر « صلى الله عليه وآله » أمير المؤمنين علياً « عليه السلام » **بالمبيت على فراشه** ، فدعا عليّا (عليه السلام) لوقته فأخبره بما أوحى الله إليه وما أمر به، وأنّه أمرني أن

آمرك بالمبيت على فراشي أو على مضجعي؛ ليخفى بمبيتك عليه أمري، فما أنت قائل وصانع؟ بعد أن أخبره بمكر قريش ، فقال عليّ (عليه السلام): أو تسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسّم عليٌّ (عليه السلام) ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه به رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من سلامته، وكان أوّل من سجد شكرا، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الامّة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثمّ رفع رأسه وقال: امض لما أمرت به فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك، وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلّا بالله ، قال: إنّي أخبرك يا عليّ إنّ الله يختبر أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك الله يا ابن أم امتحنني فيك بمثل ما امتحن الله به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبراً صبراً فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ثمّ ضمّه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى صدره وبكى وجدا به وبكى عليّ (عليه السلام) حزناً لفراق رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

. وعندما اقتحم المشركون دار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجدوا أنفسهم أمام عليّ عليه السلام. وقد نزل قوله تعالى في حقّ الإمام علي عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾ ، وقد أهبط الله سبحانه وتعالى جبرائيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرائيل يقول: بخ بخ! من مثلك يا بن أبي طالب، والله يباهي به الملائكة ؟

ثم خرج النبي « صلى الله عليه وآله » في ليلة ١٣ للبعثة بعد صلاة العشاء ، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون وبعدما فشلت خطّة قريش بقتل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم استنفرت جميع قواها، وقامت بالبحث عنه، ولكنّها فشلت أيضاً بتدبير إلهيّ واضح، فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى غار ثور، وأخفاه الله عن أنظار قريش. وقال تعالى: ﴿... **إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ .

وتوجّه نحو غار ثور حيث بقي فيه ثلاثة أيام إلى أن تمكّن من الوصول إلى قرية قباء في المدينة المنوّرة برغم ملاحقة قريش له.

وكانت هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل يوم من شهر ربيع الأول بعدما كان أمضى ثلاث عشرة سنة في مكّة. وكانت هذه الهجرة بداية التاريخ الإسلاميّ ، بادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وصوله إلى المدينة إلى العمل على تأريخ الحوادث، فابتدأ باستعمال التأريخ ابتداءً من يوم قدومه مهاجراً إلى

المدينة حينما ورد إلى قباء، ثم أخذ المسلمون يؤرّخون بعد ذلك بالشهر والشهرين، فكانوا يؤرّخون بالأشهر إلى السنة الخامسة، ومنها يبدأون بذكر السنين .

استخلاف الإمام عليّ عليه السلام

ثم بعد ذلك وصل كتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يأمره بالخروج والهجرة، فأَعْلَمَ مَنْ كان معه من ضعفاء المؤمنين، وأمرهم أن يتسللوا، ويتخفوا تحت جنح الليل إلى ذي طوى، وخرج (عليه السلام) بفاطمة بنت الرسول، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت الحمزة وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره (عليه السلام) بالرفق، فاعتذر بخوفه من الطلب.

إما عن قضية رد الودائع فكانت قريش تدعو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية بالصادق الأمين، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكّة من العرب في الموسم وعندما جاءته النبوّة والرسالة ظل الأمر كذلك، فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشياً: "**ألا من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلتؤدّ إليه أمانته**".

قال: وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للامام علي (ع) : "**إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا عليّ بأمر تكرهه حتّى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً، ثمّ إنّي مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما ومستحفظه فيكما**" وأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ وهو يوصيه : "**وإذا أبرمت ما أمرتك فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليّ لقدوم كتابي إليك، ولا تلبث بعده**".وقد أدى الإمام عليه السلام الأمانات كلها إلى أهلها ، ورحل مع الفواطم إلى مدينة يثرب.

وبعد ما أدّى ذلك حمل السيّدات الزاكيات من الفواطم وهاجر بهنّ إلى يثرب فلحقه سبعة من عتاة قريش لصدّه عن السفر فانبرى إليهم الإمام ببسالة وعزم فقتل واحدا منهم وهرب الباقون.

وسار الإمام يطوي البيداء لا يلوي على شيء حتّى انتهى إلى قبا قبل أن يدخل النبيّ إلى المدينة ، حيث ظل النبي (ص واله) بانتظار أخيه عليّ بن أبي طالب، فاندفع المسلمون وأهلوهم ومن تبعه يزورونه في قباء ويسلّمون عليه، ويتشرّفون برؤيته. وأراد بعض المسلمين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدخول إلى يثرب إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصرّ على انتظار الإمام عليّ عليه السلام حيث قال: "**لست أريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله، وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين.** "

ولمّا قدم الإمام عليّ عليه السلام والفواطم بعد خمسة عشر يوماً من قدوم النبيّ، ولما بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قدومه، قال: "أدعوا لي علياً"، فقيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي، فأتاه صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، فلمّا رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: "**يا عليّ أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك والذي نفسي بيده إلّا مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلّا منافق أو كافر**"، ثمّ نزل قباء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار كلثوم بن الهدم.

وبقي رسول الله بعد قدوم الامام عليّ عليه السلام يوماً أو يومين، ثمّ أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وكان يوم الجمعة ـ أن يخطّ لمسجد قباء المعروف والذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى...**﴾ ، وكانت قبلته إلى بيت المقدس، فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الجمعة، ثمّ انطلق صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته، والإمام عليّ عليه السلام بجانبه إلى يثرب، يحفّه المسلمون بالتكبير والتهليل، وكان كلّ مسلم يرغب بأن ينزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم داره، وانطلقت ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو واضع لها زمامها...، حتّى صارت بالقرب من باب أبي أيّوب خالد بن يزيد الأنصاريّ فبركت هنالك، فمكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده شهراً، حتّى انتهى صلى الله عليه وآله وسلم من بناء المسجد وبناء داره، ودار الإمام عليّ عليه السلام.

<u>س / ان ما يذكر من روايات ونصوص عن موضوع ليلة هجرة الرسول (ص واله) يكتنفها الغموض وفيها كثير من العجائب والغرائب والتناقض ولحل هذه الامور لا بد من عرض هذه الروايات على القرآن الكريم (ناقشي ذلك) ؟</u>

<u>س / هناك نصوص تاريخية تشير بوجود خطة مسبقة وهذه الخطة سريعة ومعد لها في نفس اليوم وان الذي خطط لهذه الخطة هو احد الصحابة ،(ناقشي ذلك)؟</u>

ج / ان الروايات والنصوص عن ليلة الهجرة فيها كثير من المتناقضات والمتهافتات والعجائب والغرائب، وفيها تناقضات عديدة، ويكتنفها الغموض بعض الشيء من هذه الروايات (أنّ رسول الله(صلّى الله عليه وآله) قد هاجر وحده ليلاً دون علم أبي بكر، بحيث أنّ أبا بكر ذهب إلى بيت رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، بعد أن خرج إلى هجرته، وهو يقول: يا نبيّ الله! وكان أمير المؤمنين(عليه السلام) قد نام في فراش النبيّ(صلّى الله عليه وآله) ولم يعلم بذلك أبو بكر، فأجابه عليّ(عليه السلام): أنا عليّ ولست رسول الله، إن شئت أن تطلب رسول الله(صلّى الله عليه وآله) فالحقه عند بئر ميمون..) ، **والاسئلة التي يمكن طرحها حول هذه الرواية :**

- كيف دخل ابو بكر إلى الامام علي « عليه السلام » ؟
- وكيف لم يره خمسة عشر رجلاً يرصدون البيت وقد طافوا بالدار ؟ !
- وإذا كانوا يرصـدون ، وينظرون من خلال الباب إلى النائم ، ورأوه كيف يتضـور وهم يرمونه ببعض الحصى ، فكيف لم يروا ابو بكر حين دخل إليه ؟ !
- وإذا كانوا قد رأوه ، فهل سمعوا كلامه ؟ !
- وإذا كانوا قد سـمعوه ، وهم قريبون منه إلى حد أنهم يرمونه بالحصـى ، فلماذا لم يلحقوا بالنبي « صلى الله عليه وآله » كما لحق به ابو بكر ؟ !
- وحين دخل ابو بكر هل كشف له عليّ « عليه السلام » رأسه ، أم بقي مغطى ، وإذا كان قد كشفه فهل رآه المشركون أم لا ؟
- ولماذا لم يروه ؟ ! وإذا كانوا قد رأوه ، فلماذا انتظروا إلى الصباح ؟ !
- وإذا كانوا قد سمعوا صوت عليّ ورأوه فكيف لم يعرفوه ، ولم يميزوا بين الرجلين ولا بين الصوتين ؟ !
- وكيف رأوا تضوره ولم يروا شخصه . . وبعد الاجتماع بين ابو بكر وعليٍّ « عليه السلام » من أين خرج ، وهل رأوه حين خرج أم لم يروه ؟ !

فهذه الرواية يكتنفها الغموض وعليها الكثير من علامات الاستفهام لذلك لا يمكن قبولها .

ورواية اخرى تقول (ان احد الصحابة عمد الى شراء واسطة نقل(راحلتين و استأجار دليل وهو عبد الله بن اريقط وكلف الراعي (عامر بن فهيرة) ليسبقهم ويمحي اثرهم ووجود اسماء بنت ابي بكر وقضية الطعام) ، فعندما نأتي للخطة فانها تشير على ان (الصحابي) كان على علم بالهجرة ، وهو من خطط لموضوع الهجرة ، لكن كما نوهنا سابقاً ان الله تعالى امر نبيه باخفاء امر هجرته للحفاظ على حياته فلم يكن يعلم بأمر هجرته سوى اهل بيته ، ومن جهة اخرى فان الصحابة قد هاجروا قبل رسول الله (ص واله) الى يثرب ولم يبق في مكة سوى الرسول (ص واله) واهل بيته والقلة من المستضعفين الذين اصطحبهم الامام علي (ع) معه وهذا ما اكدته كتب الحديث والسيرة (**أنّ احد الصحابة كان يصلّي في المدينة في قباء خلف سالم مولى أبي حذيفة، هو وعمر وآخرون، ولم يكن رسول الله(صلّى الله عليه وآله) قد هاجر بعد)**

لذلك فنحن مأمورون بعرض الروايات والنصوص على القرآن الكريم ، اذ يقول الله تعالى : **((إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا**

تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَـكِينَتَـهُ عَلَيْـهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَـةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) ، نستشف من هذه الاية :

- اذا كانا اثنين لماذا قال الله تعالى (إذ اخرجه) ولم يقل (اخرجهما) ، ربما لأن احدهما لم يخرج مع الآخر ، انما التقى به بعد الخروج .
- قال تعالى (ثاني اثنين) ، خرج رسـول الله (ص واله) لوحده كيف اصـبحا اثنان ؟ وهل هذه المقارنه العددية لها فضـيلة او ميزة للشـخص الذي كان مع رسـول الله (ص واله) ، فضـلاً عن (ثاني اثنين) لا توجب فضـيلة لأحد المجتمعين مع الآخر ، لان سـفينة نوح كان فيها ابليس مع الحيوانات وغيرها من المخلوقات فهل هذا الاجتماع يعطي فضيلة لابليس لاجتماعه مع النبي نوح ؟
- (اذ هما في الغار اذ يقول لصـاحبه) ، هل كلمة صـاحب في القرآن تدل على مدح ام ذم ؟ لورود كلمة صـاحب في القرآن في موضـع ذم لقوله تعالى : ((اذا قال له صـاحبه وهو يحاوره إذ كفرت بالذي خلقك من تراب)) .
- (لا تحزن ان الله معنا)) ، السـؤال هنا : من الذي قال للآخر لا تحزن ، ان قلنا الاول قالها للنبي فتلك مصـيبة ، فهل يحتاج النبي الى من يهدئ من روعه او (يهون عليه) ، واذا قلنا ان النبي (ص واله) قالها للاول فهو ينهاه عن معصية لا عن طاعة لان الحزن هنا حزن معصية لا طاعة ، لانه حاشا لرسول الله (ص واله) ان ينهى عن طاعة .
- (فأنزل الله سكينته) ، لماذا اختص رسول الله بالسكينة دون صاحبه ، ونحن نعلم انه في مواطن من القرآن نزلت السكينة على رسول الله وعلى من معه من المؤمنين ((وانزل الله سكينته على نبيه وعلى المؤمنين)) ، فلماذا لم ينزل سكينته على صاحبه فهو بإمس الحاجة اليها لاضطرابه وحزنه . ثم نأتي الى قضـية اسـتأجار الراحلتين والتوقف في غار ثور فخلال وقوقهم بالغار فأين ذهبت الراحلتين؟ فأذا كانت الراحلتين موجودتين فالمشـركين سـوف يرونها اذا كانتا قريبتان من الغار وسـيعلمون بوجود النبي والاول في الغار، قضـية اسـماء وقضـية الطعام والتي عرفت باسـماء ذات النطاقين وسـميت بذلك لانها لفت الرباطين لحمل الطعام وقضـية اسـتأجار الدليل وهو عبدالله بن اريقظ وان عبدالله ايضـا كان من المشـركين وكان يهمه الربح المادي وقد ورد ذكره في التاريخ وكان يعمل كدليل يرشد الناس الى الطريق، وان كبار قريش وضعوا جائزه لمن يأتي بخبر من النبي محمد مقدارها ١٠٠ ناقة فغير معقول ان يترك الجائزة لاجل دراهم ابي بكر ، وكذلك عامر بن فهيرة كان

مولى أبى بكر وكلفه ان يتبع النبي وابي يكر ويمحي اثرهما لا يمكن قبول هذا ايضـــاً لأن اخوال النبي محمـد ص في يثرب والنبي كـان على علم بـالطريق ولم يكن بحـاجـة الى دليـل وان النبي بالاضـــافه الى ذلك كان يعمل بالتجارة ، فضـــلاً عن النبي (ص واله) لم يكن له اثر او ظل على الارض فلم يكن بحاجة الى من يمحي اثره .

ولعل الصحيح بعد الرجوع للقرآن الكريم و الجمع بين الروايات : أنّ النبيّ(صلّى الله عليه وآله) هاجر لوحده في المرحلة الأُولى، ثمّ جاء أبو بكر يطلبه في داره، فوجد عليّاً(عليه السلام) نائماً مكانه ليوهم الكفّار بوجود رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نائماً في بيته ليشغلهم حتّى يبتعد، ثمّ حينما يزوره أبو بكر يؤكّد وجود النبيّ(صلّى الله عليه وآله) في البيت، فيبقى مشركو قريش حينئذٍ في انتظار الوقت المناسب للانقضاض على رسول الله(صلّى الله عليه وآله) كما كانوا يريدون فعل ذلك في ذلك اليوم ...

ولمّا دخل أبو بكر يطلب رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، أخبره أمير المؤمنين بأنّ رسول الله قد غادر بعيداً، فالتحق به عند بئر ميمون، ولمّا التحق أبو بكر بالنبيّ(صلّى الله عليه وآله) غيّر رسول الله(صلّى الله عليه وآله) مكانه، فانتقل إلى الغار في تلك الليلة من دون أن يشعر بهما أحد.ولولا ذكاء رسول الله(صلّى الله عليه وآله)، ووحي الله وتسديده له في كيفية التعامل مع الأحداث والأشخاص، لانكشف أمر النبيّ (ص واله).

وبالنتيجة وبذلك تكون هذه الخطة فاشلة وان الهجرة كانت بتدبير الهي وليست بتدبير بشري .

المحاضرة السابعة : أعمال الرسول (ص واله) في تأسيس الدولة المدنية ذات المرجعية الاسلامية

س/ ما هي الكيفية التي استطاع النبي محمد (ص واله) من خلالها تأسيس دولته في المدينة المنورة ؟

ج / باشر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فور وصوله إلى تأسيس دولته المدنية في المدينة المنوّرة إذ رفع شعار ((**إفشوا السلام وإطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام**)) ، فكان هذا الشعار هو برنامج النبي (ص واله) لسياسته الداخلية للوصول الى هدف إنشاء مجتمع مثالي يكون تجسيداً واقعياً لما قد يحدثه الاسلام في تغيير واقع البشرية للوصول به نحو الكمال .

فبدأ النبي (ص واله) خطواته الاولى نحو إزالة كل اســـباب الخلاف بين قبيلتي الاوس والخزوج والجمع بينهما بمكون جديد غير المكون القبلي وهو مكون الانصـار فأصـبح مكون المسـلمين يتكون من المهاجرين والانصار بعد ان كان يشمل المهاجرون والاوس والخزرج ، ولم تقف سياسة النبي (ص واله) عند هذا الحد بل تعداه لتوحيد المكون الاسـلامي تحت مسـمى المسـلمين وهو جامع لكل المهاجرين والانصـار ، فأصـبح المسـلمون مكون واحد قبال المكونات الاخرة المتمثلة بالمشـركين واليهود ، لقد كان النبي (ص واله) مدركاً بأنه لا يمكن إقامة دولة دون وجود حكومة أو سـلطة تدير شـؤون تلك الدولة ولا بد ان يكون لتلك الحكومة سلطة يخضع لها الجميع .

وبما ان سلطة النبي (ص واله) وطاعته كانت مفروضـة من قبل الله سبحانه وتعالى على المسلمين فقط ومن تحالف معهم من المشـــركين بدافع القبلية ، لذا فمن باب العدالة حرص النبي (ص واله) على ايجاد دسـتور يشـارك في وضـعه كل ابناء يثرب دون النظر الى انتمائهم العرقي او الديني ، فعمل على اصـدار وثيقة تضـمن أكثر من (٥٠) بند تنظم العلاقات بين مكونات المجتمع والحقوق والواجبات دون التمييز بين افراد ذلك المجتمع وبهذا أصـبحت سـلطة النبي (ص واله) يمتثل لها كل ابناء يثرب ولهذا فقد جاء ضـمن تلك الوثيقة (انكم امة واحدة من دون الناس) أي كل من ينتمي لهذه المدينة يتســـاوى مع غيره ... وبهذا

استطاع النبي (ص واله) ان يوجد الركن الثالث المهم من اركان اقامة الدولة وهو الحكومة او السلطة ... وبهذا تعد هوية دولة المدينة هوية مدنية وليست دينية لتوفر عناصر الدولة (الارض والشعب والسلطة) ، على خلاف ما يعتقد الكثيرون بأن النبي (ص واله) هو مؤسس الدولة الاسلامية لأن قيام دولة دينية في يثرب من شأنه ان يهمش المكونات الاخرى الغير إسلامية .

وقد استهل الرسول (ص واله) المباشرة بسلطته من خلال قيامه بأعمال تأسيسية ترتبط ببناء المجتمع والمتمثلة :

١- بناء المسجد

المسجد هو أوّل مركز عُنِيَ النبيّ بإنشائه، وقد كان مركزاً للعبادة، والتعليم، والحكم، والإدارة. فلم يكن لحكومة النبيّ مقرّ خاصّ، وكان المقرّ العامّ الوحيد في الدولة هو المسجد ، وقد عمل بيده الشريفة إلى جانب المسلمين ممّا دفع أصحابه إلى الدأب في العمل. وقد شاركت النساء في بناء المسجد، فكن يحملن الحجارة ليلاً، بينما يقوم الرجال نهاراً بالبناء، حتّى أتموا بناءه، ثمّ بنيت مساكنه وبيوته ملاصقة للمسجد فقد كان لبناء المسجد دلالة واهمية وذلك لأن المسلمين كانوا فئتين : مهاجرين وأنصاراً ، وتختلف ظروف كل من الفئتين ، وأوضاعها النفسية ، والمعنوية ، والمعيشية ، وغير ذلك عن الفئة الأخرى ، وقد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع في بوتقة الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد ، في توادهم وفي تراحمهم وتعاونهم ، وغير ذلك .

٢- تشريع الأذان

بعد الانتهاء من بناء المسجد جاء الوحي الإلهيّ بوسيلة دعوة الناس إلى الصلاة. ورغم اقتراح العديد من المسلمين لبعض الأساليب في دعوة الناس إلى الصلاة، إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدّ أحداً منهم، بل استمع إلى أقوالهم وآرائهم، ثمّ أخبرهم بالوحي الإلهيّ، وأن الأذان وحي من الله سبحانه وتعالى، وقد علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عليه السلام ثمّ أمره بأن يعلّم بلالاً، فدعا الإمام عليّ عليه السلام بلالاً فعلمه الأذان، ثمّ صعد بلال على أحد جدران المسجد ورفع الأذان لأول مرّة في الإسلام.

٣- المؤاخاة

أقدم النبيّ صـلى الله عليه وآله وسـلم على أوّل خطوة تنظيميّة للمجتمع الجديد هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وذلك في سبيل ترجمة الرؤية النظرية في الإسلام إلى واقع معاش، وفي سبيل التمهيد لولادة الأمّة الجديدة بتركيب مجتمعيّ ذي صـيغة منسـجمة متآلفة، وفي سـبيل توكيد وحدة المسـلمين والتغلّب على التناقضات الداخلية القائمة بين الأوس والخزرج، والتناقضات المتوقّعة بين المهاجرين والأنصار، وفي سبيل تحطيم الاعتبار الطبقيّ القبليّ، والاقتصاديّ، وعلاج مشكلة التفاوت في المستوى المعيشيّ، والتعبير العمليّ عن مبدأ المواساة والمساواة الإسلاميّ.

وكانت المؤاخاة بعد خمسة أو ثمانية أشهر من وصوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وقال لهم: "**تآخوا في الله أخوين أخوين**". وبعد أن آخى رسول الله بين المسلمين بقي الإمام عليّ عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإنْ ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسـوله لا يدّعيها بعدك إلّا كذّاب، والذي بعثني بالحقّ ما أخّرتك إلّا لنفسـي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي وأنت أخي ووارثي**". ثمّ أخذ بيده، وقال: "**هذا أخي**"، فآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين نفسه والإمام عليّ عليه السلام .

٤- **الصحيفة** : صحيفة المدينة، أو دستور المدينة هي معاهدة تمت صياغتها من قبل الرسول الأكرم ﷺ فور هجرته إلى المدينة المنورة، وتعنى بالعلاقات فيما بين المسلمين بجميع طوائفهم من جهة، والمسلمين والفصائل اليهودية وغيرهم من جهة أخرى. ويعدّ من أهم المبادرات التي قام بها النبي ﷺ في السنة الأولى من هجرته إلى المدينة.

مع بداية الهجرة كان ثمّة خمس طوائف من السكّان في المدينة هم:

١- المهاجرون: الذين ضحّوا بوطنهم وأموالهم وعلاقاتهم طلباً للحرّية وحرصاً على دينهم، فهاجروا من مكّة إلى المدينة.

٢- الأنصار: وهم سكّان المدينة الأصليون من قبيلتي الأوس والخزرج، الذين أحبّوا رسول الله ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه.

٣- المشركون: من قبيلتي الأوس والخزرج ومن قبائل عربية أخرى، وذكر منهم عشائر: خطمة بنو واقف، بنو سليم... وهؤلاء كانوا على الكفر أوّل الهجرة، وتأخّر إسلام كثير منهم إلى السنة الرابعة للهجرة.

٤- المتهوّدون: وهم جماعة من الأوس والخزرج وغيرهما كانوا قد تهوّدوا، لمجاورتهم خيبر وقريظة والنضير.

٥- اليهود الأصليون: (من أصل اسرائيليّ) الذين أتوا من فلسطين وسكنوا المدينة وضواحيها، وهم قينقاع، وقريظة، والنضير، ويهود خيبر.

وكان لا بدّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يسعى لتنظيم المجتمع الإسلاميّ في إطار دولة يحكمها القانون الإلهيّ، من أن يقوم بجملة من التدابير التنظيمية التي تجعل علاقات هذه الطوائف فيما بينها منضبطة في إطار القانون الجديد، فكانت وثيقة الصحيفة، التي وضعها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تضمّنت قواعد كلية وأسساً عملية في الحقوق والعلاقات، وقد بلغت ٥٠ بنداً، من أهمها:

١- أنّ المسلمين أمّة واحدة من دون الناس رغم اختلاف قبائلهم وانتماءاتهم.

٢- أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو قائد الأمّة ومركز السلطة في كلّ شيء.

٣- أنّ مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الجميع، ولا تختصّ بمن وقع عليه الظلم.

٥- منحت الوثيقة المتهوّدين من الأنصار حقوقهم العامة كحقّ الأمن والحرية والمواطنة بشرط أن يلتزموا بقوانين الدولة وأن لا يفسدوا ولا يتآمروا على الإسلام والمسلمين.

٦- **موادعة اليهود** : بعد إقرار الوثيقة السياسية الكبرى في المدينة، وقّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموادعة بينه وبين المتهوّدين من قبائل الأوس والخزرج. بقي اليهود الأصليون فشعروا بأنّهم قد عزلوا عن أنصارهم من المتهوّدين بعد توقيع الصحيفة، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلموطلبوا الهدنة، فكتب لهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك على أن لا يعينوا عليه أحداً، ولا يتعرّضوا لأحد من أصحابه بلسان ولا يد، ولا بسلاح، لا في السرّ ولا في العلانية، فإن فعلوا فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حلّ من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم، وكتب لكل قبيلة كتاباً على حدة.

٥-إعداد القوة العسكرية

أقدم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على خطوةٍ أخرى على طريق بناء الدولة، وهي خطوة الإعداد العسكريّ وإعداد القوة البشرية المدرّبة، وإعداد السلاح والخيل وغير ذلك ممّا تحتاجه القوّة المسلحة، وذلك عملاً بقوله

تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ**﴾.

فقسم المسلمين في المدينة إلى عرافات، وجعل على كل عشرة عريفاً، وجعل من جميع الذكور البالغين جنوداً، وكوّن منهم الجيوش، والسرايا العسكرية.

وما يمكن استفادته من الروايات المتفرّقة فيما يتعلّق بتنظيم القوة العسكرية وإدارة المعارك الدفاعية في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الملامح التالية:

١- إنّ القرار العسكريّ الإستراتيجيّ والتكتيكيّ كان بيد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وحده.

٢- كان النبيّ يشكّل الجيش والوحدات العسكرية من الذكور البالغين. وكان يختار للجندية الذين بلغوا خمس عشرة سنة من العمر فقط.

٤- التدريب: فقد كان شبّان المدينة المنورة يتدرّبون على استعمال السلاح، وفنون القتال، وكان في المدينة مكان مخصّص للتدريب، وكان الإمام عليّ يعلّم الناس الرمي والقتال.

٥- وقد كان هنالك الكثير من النظم العسكرية في سيرة النبيّ، من قبيل إحصاء عدد المسلمين لأغراض عسكرية، ومن قبيل التسليح العسكريّ والصناعات العسكرية، والتجسّس العسكريّ وغير ذلك من الملامح التي تكشف عن دقة التنظيم العسكريّ، الذي كان له دور كبير في تحقيق إنجازات عسكرية كبرى في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في فترة زمنية قصيرة نسبياً.